أزمة التعليم والتراجع المعرفي في العراق

" الأسباب، المظاهر، وسبل المعالجة"

أ.م. د. مصطفى سوادي جاسم

00964- 7710122232
Alfaidcenter2011@gmail.com
العراق - بغداد - الكرادة

مقدمة

كان التعليم وما يزال الركيزة الأساس لنمو المجتمعات وتقدمها، وهو معيار أصيل لرقي الشعوب وتطورها؛ ومع ذلك، فإن كثيراً من الأنظمة التعليمية باتت تعاني من ضعف في البنية، وتراجع في الكفاءة، وابتعاد عن متطلبات العصر؛ أدت هذه الأزمة إلى آثار معرفية عميقة، تمثلت في تراجع القيمة الحقيقية للمعرفة في عقول الأفراد والمؤسسات، إذ يشهد العالم المعاصر تحديات غير مسبوقة في مجال التعليم، حيث تتجلى مظاهر أزمة التعليم في تدني مخرجاته وتراجع قيمته المعرفية، ترافق ذلك مع ما يُسمى بـ"التراجع المعرفي"، وهو تعبير عن التدهور العام في نوعية المعرفة المتداولة، سواء من حيث عمقها أو موثوقيتها.

ولطالما كان التعليم في العراق أداةً للنهوض الحضاري، إلا أنه في العقود الأخيرة دخل في دوامة من التراجع والتهميش، فتحت تأثير الأزمات السياسية، والصراعات المسلحة، وسوء الإدارة، تراجعت مكانة التعليم وتدهورت منظوماته، ما أدى إلى إضعاف الوعي المعرفي الجمعي وانتشار ثقافة سطحية بعيدة عن التفكير والتحليل.

مفهوم أزمة التعليم

أزمة التعليم تُشير إلى خلل عميق في الأهداف والمضامين والوسائل والنتائج التي تطمح لها الدول والمبنية على المعرفة التي تقدم من طريق المؤسسات التربوية والتعليمية وبمختلف صنوفها وتشكيلاتها، إذ إن تحقيق هذه الأهداف اصبح صعب المنال وتحدٍ كبير لتحقيقه والذي يمثل جوهر ازمة التعليم؛ وتظهر هذه الأزمة من خلال مظاهر عدة منها عدم توافق المناهج مع سوق العمل، وضعف الكادر التعليمي وتدريبه، والأساليب التلقينية البعيدة عن التفكير النقدي، فضلا عن الفجوة الرقمية وعدم استثمار التكنولوجيا التعليمية بشكل فاعل، والتركيز على الشهادات بدلاً من الكفاءات، وهذه الأسباب ألقت بظلالها على المشهد الثقافي المعرفي بشكل عام وأدت الى تراجعه على الرغم من توسع أدوات المعرفة والثقافة وسهولة الحصول عليها في كل حين وزمان.

التراجع المعرفي: مظاهره وأسبابه

التراجع المعرفي هو تراجع نوعية المعرفة، وشيوع الثقافة السطحية، وضعف القدرة على التمييز بين الصحيح والزائف، ويعود هذا إلى سيطرة وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر رئيس للمعرفة، وغياب مهارات التفكير النقدي في المنظومات التعليمية، والاعتماد على الحفظ والتكرار بدلاً من الفهم والتحليل، وتهميش العلوم الإنسانية والفكرية، فضلاً عن هيمنة الخطاب الاستهلاكي على الخطاب العلمي والمعرفي.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

أزمة التعليم في العراق

تتجلى أزمة التعليم في العراق، من خلال مظاهر عدة:

·نقص الأبنية المدرسية: يواجه العراق نقصاً كبيرا في الأبنية المدرسية لا يزال دوام كثير من المدارس ثنائيا وثلاثيا، ولا تزال توجد مدارس "طينية وكرفانية" في كثير من المناطق، وان ما مثبت بشكل رسمي وبحسب الاستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم في العراق الى ان الحاجة الفعلية لغاية عام 2018 هو (8147) بناية وتشير الارقام الى ان الدوام الثلاثي ارتفع من (5% الى 6 %) والثنائي ارتفع ايضا من (37% الى 42 %) في حين خسر الدوام الاحادي نسبته من (58 % الى 51 %) .وكل الارقام اعلاه تشير بوضوح الى زيادة حجم المشكلة وليس حلها وبلحاظ ان سكان العراق يزدادون مليون نسمة سنوياً.

- **تهالك البنية التحتية التعليمية:** لا تزال العديد من المدارس في العراق تعاني من نقص التجهيزات الأساسية، بل إن بعضها يُدار في مبانٍ غير صالحة تربويًا.
- **مشكلة عدد ايام الدوام الفعلي:** تشير الاحصاءات الى ان الدوام الفعلي للمرحلة الابتدائية يبلغ (137) يوما، في حين يبلغ الدوام الفعلي للمرحلة الثانوية (151) يوما اما ساعات الدوام فالدوام الاحادي (4.5) ساعة يوميا، الثنائي (4) ساعة، والثلاثي (3.5) ساعة بمعدل "دوام فعلي" يبلغ (3.6) ساعة يوميا وهو اقل من ان يكفي لتدريس المحتوى الدراسي "المنهج" بحسب الوكالة الامريكية للتنمية الدولية.
- **انعدام الامن الغذائي والتغذية المدرسية:** يتعرض نحو 60 % من سكان الريف في العراق لانعدام الأمن الغذائي، على الرغم من أن العديد من المحافظات معرضة لخطر أكبر بحسب برنامج الأغذية العالمي، 2019 تتميز المناطق التي تظهر مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي أيضا بمستويات عالية من تغيب تلاميذها وتسربهم من المدرسة. حتى برامج التخفيف من حدة الفقر في العراق، والتي نجحت في الوصول إلى غالبية الأسر الضعيفة من خلال الحصص الغذائية، قد فشلت في تقديم الدعم للتعليم.
- **نسبة التحاق التلاميذ:** تعاني المؤسسة التربوية من عدم التحاق التلاميذ والطلبة كافة الى مقاعد الدراسة لأسباب مختلفة وعديدة؛ إذ تشير الإحصاءات الى ان (5% الى 11 %) نسبة التحاق الاطفال برياض الأطفال، ولا يلتحق الأطفال جميعهم بالمدارس الابتدائية عند بلوغهم سن السادسة، وتشير الاحصاءات ايضا الى ان الاطفال خارج اسوار المدرسة من سن (6 الى 17) بلغ اكثر من (3.039436) مليون طفل، وان نسبة المتخرجين من الابتدائية هو (83%)، بينما نسبة الالتحاق بالمرحلة المتوسطة هو (66% الى 86 %) ، اما المرحلة الاعدادية وهي الاقل التحاقا فبلغت (33 % الى 46 %) من مجمل الطلاب وان المتخرجين منها فهو (38%) وهو ضعيف جدا.
- **المناهج التقليدية:** تعتمد غالبية المناهج على التلقين والحفظ، مع إغفال التفكير النقدي ومهارات التحليل.
- **تسييس التعليم:** أدى تداخل السياسة مع التعليم في العراق، إلى تفكك المنظومة وتراجع استقلاليتها.
- **هجرة الكفاءات:** يعاني العراق من نزيفٍ حاد في الكوادر العلمية بسبب عدم الاستقرار وانعدام الدعم، ما فاقم من ضعف النوعية التعليمية.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

- **الإهمال الحكومي المزمن:** ضعف الميزانيات المخصصة للتعليم مقارنة بقطاعات أخرى يعكس غياب الرؤية الوطنية لبناء الإنسان.

الأسباب الرئيسة لازمة منظومة التعليم

هناك اسباب كثيرة وكبيرة لازمة التعليم في العراق وفي مقدمتها الاستعمار والاحتلال والحروب إذ لعبت دورًا كبيرًا في تفكيك المنظومات التعليمية في العراق وكان من أكثر المتضررين منها، وحكم الأنظمة الشمولية والدكتاتورية التي سخرت إمكانات الدولة لمصالحها الخاصة او لمغامرات حروبها وصراعاتها التي حالت دون أن يكون التعليم وسيلة للتفكير الحر والتمكين الاجتماعي، انما تحول الى صدى لتمجيد القائد والحزب وإعادة بناء العقول على وفق سياسية القطب الواحد، وتهميش دور بناء المعرفة وسقل العقول، ومن ثم يأتي الفساد الإداري والمؤسسي الذي نهش جسد الدولة العراقية والذي أهدر الموارد المالية والبشرية والتفريط بها من أجل مصالح شخصية وفئوية وحزبية على حساب جودة التعليم ومخرجاته وأفرغ التعليم من مضمونه الأساس، ومنها ما يتعلق بمجل كثير من القرارات التي تصدر في وزارتي التربية والتعليم العالي والتي غالبا ما تكون ذات بعد سياسي انتخابي وليس على أساس مصلحة التربية والتعليم في العراق، فضلا عن الثقافة الاستهلاكية التي تتمثل في التركيز على المظاهر والشهادات دون الكفاءات، حتى أصبحت الشهادات بمجملها والعليا منها في أيدي كثير ممن لا يجيد الكتابة والقراءة.

الازمة

من هنا يتبين أن أزمة التعليم أحد الأسباب الجوهرية في تفاقم التراجع المعرفي، إذ أن ضعف التعليم ينتج أفراداً غير قادرين على إنتاج أو تقييم المعرفة، كما أن تدني جودة المعلمين، وغياب السياسات التعليمية الرشيدة، يسهمان في نشر أنماط من التفكير السطحي، مما يعمق من حالة التراجع.

مظاهر التراجع المعرفي في السياق العراقي

- **انتشار الثقافة السطحية:** تنتشر المعلومات غير الموثوقة، ويتراجع الإقبال على القراءة والبحث العلمي.
- **تراجع المكانة الاجتماعية للمعلم والمثقف:** أصبحت المعرفة في كثير من المجتمعات العربية غير ذات جدوى مادية أو مكانة اجتماعية.
- **ضعف إنتاج المعرفة الأصيلة:** معظم الجامعات العربية، بما فيها العراقية، تُنتج أبحاثًا ذات تأثير محدود في البيئة المحلية والدولية
- **سيادة الخطاب الشعبوي والإعلامي على الخطاب العلمي:** حيث يُهمش العقل لصالح الانفعال والرمزية السريعة.
- **ضعف التنمية البشرية**، وهشاشة الثقافة العامة وسرعة انتشار الإشاعات، وتفكك الهوية الفكرية والمعرفية لدى الأجيال الجديدة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

- **بطالة واسعة بين الخريجين بسبب عدم مواءمة التعليم مع سوق العمل**، مما يولد هجرة العقول إلى الخارج بحثًا عن بيئة علمية صحية.
- **العنف الفكري والاجتماعي نتيجة لغياب الوعي النقدي والتحليل السليم.**

سبل المعالجة

إذا ارادت الدولة العراقية بمختلف سلطاتها أن تعالج ازمة التعليم والمعرفة في العراق لا بد من اتخاذ خطوات جادة وحقيقية في طريق المعالجة ومنها:

- إصلاح سياسي وإداري للمنظومة التعليمية والذي يتطلب إرادة وطنية جادة.
- الاستثمار في تأهيل المعلم وتطوير مهاراته، ودعمه معنويا وماديا واعلاميا.
- دمج التكنولوجيا بوعي في البيئة التعليمية.
- إشراك المجتمع في دعم التعليم ونشر المعرفة الهادفة.
- مراجعة شاملة للمناهج التعليمية مع إدخال مفاهيم التفكير النقدي والمهارات الحياتية.
- استقلالية المؤسسات التربوية والجامعية عن التأثيرات الحزبية والطائفية.
- دعم البحث العلمي وتوفير بنية تحتية ملائمة له خاصة في الجامعات العراقية والعربية.
- التركيز على مفهوم التدريب وجعله مفاتحا لمخرجات العملية التعليمية.

خاتمة:

إن أزمة التعليم والتراجع المعرفي يمثلان تحديين استراتيجيين يهددان مستقبل المجتمعات، ولا يمكن الخروج من هذه الحلقة المفرغة دون رؤية شاملة تقود إلى تعليم حيوي، متجدد، ومرتبط بقيم العلم والفكر والتحليل، فالمعرفة ليست تراكم معلومات، بل وعي وفاعلية، وهما لا يتحققان إلا من خلال تعليم نوعي ورؤية حضارية.

المصادر

الجبوري، صباح مهدي: (2017)، **التعليم في العراق:** الواقع والتحديات. بغداد: دار الرشيد للنشر.

الجبوري، نزار كريم (2022): تحليل واقع التعليم الجامعي في العراق: رؤية نقدية. **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، 21(2)، 144–165.

الشمري، حسين مهدي. (2023). التعليم في العراق.. أزمات متلاحقة وسعي خجول للإصلاح. المدى برس. **https://www.almadapaper.net**

عبد الحسين، سامر رحيم (2021): الفكر النقدي والانحدار المعرفي في البيئة العراقية. **مجلة كلية التربية** – جامعة واسط، 35(1)، 201–220.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

عبد الله، حوراء سلمان، (2021): الانحدار المعرفي لدى طلبة الجامعات العراقية: الأسباب والحلول (**رسالة ماجستير**، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات).

الغرباوي، ماجد (2019): **المعرفة والثقافة في العراق المعاصر**. بغداد: مركز دراسات التنمية الفكرية.

لجنة الامر الديواني 343: **الاستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم في العراق** 2022-2031، بغداد، العراق، 2023.

المركز العراقي للتنمية الإعلامية (2023): أزمة التعليم في العراق: الأسباب والمآلات، بغداد: **منشورات المركز**.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (2020): تحديات التعليم العالي في العراق: رؤية إصلاحية. بغداد: دائرة الدراسات والتخطيط والمتابعة. **https://mohesr.gov.iq**

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة